كيف كنت سخيفا

للاستاذ الكبير حسين محمود

اردت ان أحبر مقالة للعصور فتزودت من المراجع حاجتى . كتاب لهيجو فى جيب البنطلون الخلفى . وكتاب لشيلر فى جيب (جاكتتى) اليمين وكتاب نود سورث فى جيبها الشمالى . مؤلفات دانتى فى جيب ردائى الايمن ومؤلفات سبنسر فى جيبه الايسر . تأبطت دائرة المعارف البريطانية بيمينى ودائرة معارف المانية بيسارى ، ثم قبضت بكلتا يدى على كتاب الابطال لبلوطرخ وألصقت انفى به بعد ان أثبت عوينتى فوق ارنبته . واما الاقلام والاوراق فقد حشوت بها جيبى سروالى اليمين واليسار مع جيوب صدريتى

ولا اكتمك قارئى بانى مغرم صب . اجل . فقد يرانى الحب رغم انى دولاب كتب علمية متنقل . قلت فى نفسى لأملأن فراغ جمجمتى بشىء وانا قاصد مكان اللقاء ، لقاء الحبيبة التى تيمتنى بحبها . وكم انتظرها عادة حتى يبدو لمزاجها ان تحن وتظهر فالسحالى — اجل قارئى العزيز فمحبوبتى سحلية ممتشقة القامة ، مكتحلة العينين ، حمراء الخد — لذلك اتخذت اهبتى لاكتب مقالى بدلا من انتظارها على احر من الجمر

سرت وانا اقرأ ، وقرأت وانا اسير ، الى ان ارتطمت بشىء صلب فتبينته واذا به ابو الهول . فالقيت بنفسى ارضا واخرجت ادوات الكتابة ، ولما حاولت ان املأ الورق بما خزنته جمجمتى لم اجد فيها شيئاً اصلا . وبالبحث اتضح انى كنت اقرأ دون ان اسد ثقبا فى اسفل الجمجمة ، كنت احرص جهدي على عدم تركه مفتوحا كي لا يتسرب ما اقرأه منه الى الخارج . وعبثا بحثت عن شىء لاسد به الثقب فلم اجد فاسلمت امرى للمقادير

سمعت شخصاً يقترب فتطلعت الى اعلا . يالله ما أجملها ، فتاة غضة الاهاب اقتربت منى ، تعلو شفتيها ابتسامة لطيفة ولم تلبث حتى ابتدرتنى قائلة:

— اانت مجنون ؟ لم لاتجلس على المقعد بدلا من افتراش الارض مثل السوقه ؟

— مقعد ؟ . . . (سألتها وانا اكتم ابتسامة وامنع نفسى من وصفها بالجنون حنانا منى) وهل اوجدوا مقاعدا حديثة قرب ابى الهول

— ابو الهول ؟ ما بالك يارجل اين انت من ابى الهول؟

— (ضحكت سرا على بساطتها المتناهية وتأكدت من أنها آتية ، ولا شك ، قريبا ، من بلد ناء . ثم خطرت ببالى فكره . قلت لنفسي الايجوز ان تكون هذه الفتاة حبيبتى السحلية جاءت متنكره ؟ فسألتها)

— أأنت حضرة السحلية ؟

— قطع الله لسانك ايها الافعي

— حقا اانت هى السحلية ؟

— اذا لم تحتفظ بادبك سأشكوك للبوليس . ففتق عقلى عن حيلة لطيفة فخصصت لها طاقة من «الهشيم» قدمتها لمباقة ، كما افعل عادة مع غزالتى السحلية . فرفضتها بغضب . فقلت

— عرفت الآن انك لست السحلية فلو كنت إياها لتقبلت عربون المحبة كما تتقبلينه عادة

وكانها ارادت ان تنكص على عقبها غير انها لم تفعل و بالعكس سألتنى

— من اي بلد أنت ؟

— من صنيم القاهرة

— القاهرة ! أأنت صادق وهل هذه سحنة القاهرة؟

— نعم . . . بالطبع . . . اسألى الانس والجان عن ادبى يخبرونك عنى.

— انت اذن (ادباتى) ؟

— لغة من اديب . . . . اجل . . . اديب : مؤدب ، ادباتى

— ما اسمك ؟

— عبدك الخاضع حسين محمود

ولكن هناك رجل واحد فقط مشهور بمناجاته للسحالى ، فهل انت هو ذلك الرجل؟

- ارجو ان لا تغمطهن حقهن من الرقة والجمال ، فهناك كثير من المحجبين بدلال السحالى ورقتهن

— وهل تنتظر سحلاتك هنا ؟

— واين اذن انتظرها سوى على هذه الرمال السندسية الشعرية ؟.

— ولكنك مضطجع ياسيد على الاسفلت وليس على الرمل.

— وهل يحيط بابى الهول أسفلت ؟

— لست عند أبى الهول ولكنك عند تمثال نهضة مصر

رفعت بصري مرة ثانية وحقيقة لاحظت ان بقرب ابى الهول شيء آخر يشبه امرأة فسألتها

— هل مصر الحديثة ترفع ابى الهول ام ان ابا الهول يقوم من ذاته

— . . . . ؟ ! ؟ !

— وهل لاحظت ابا الهول — فى حديقة الحيوانات — يعتمد على مقدمتيه عند ما يحاول الوقوف او يعتمد على مؤخرتيه؟

وكأن شيئاً جديدا قد تجلى لها ، واشهد انى حضرت وقتئذ منظر ارشميدس وهو يصيح قائلا يوريكا . يوريكا عند ما اكتشف فكرته وهو في الحمام ، فصاحت بى منفعلة

— عرفتك الآن . عرفتك الآن . انت ابراهيم المازنى

— المازنى ! ياخبر اسود ! المازنى ! لا . لا . لا . ابدا

— انت هو المازنى . مازنى السحالى ، مازنى الهشيم ، انت هو فلا تنكر

— المازنى ! ! ابدا ، ابدا ، انا حسين محمود . يخلق من العقل اربعين سبحانه وتعالى

— ابدا . انت المازنى . وهل هناك من يفعل ما تفعله انت غير المازنى . قم ايها المجنون. قم

— سيدتى بالله كونى واثقة . . . تأكدى بالله ان ليس هناك وجه قياس بينى وبين المازنى . انا كبير ضخم الجسد واما هو فحقير لا يعتنى الناس به ولا يلتفت اليه احد ابدا . اما انا فشيك . . . شيك جدا!

— انت تكذب يا ما زني السحاتي يا . . .

— ولكن لست انا الا . . .

— هيا اعترف بانك كاذب ، وانك المازني

— ولكن اعترافي يكذبه الواقع. فالمازني قزم وصغير بالنسبة الى انا الا . . .

— يا للادعاء وهل بلغت بك الصفاقة لدرجة تحاول معها احتكار السخف لنفسك

— انا . . . انا سخيف ؟ انا عبقري انا خفيف الدم . . . انا

ولم اشعر سيدي القاريء الا وكف قد التطم بوجهي ، ولما ادرت رأسي شاهدت رجل البوليس يقول

— اغرب من هنا ايها السكير والا قدتك للقسم

— انا سكير . . . انا (فانهال علي ضربا وركلا وهو يقول)

— امشي ايها . . . . . يا . . . . والا . . . .

فاسلمت ساقي للريح ولم انس قبل ان ابعد ان اودع الآنسة قائلا « الى اللقاء هنا غدا »

وجاء الغد وكرت الايام والاسابيع والاشهر والسنين ولم اجد من نفسي شجاعة كافية لملاقاة الحبيبة الجديدة الفاتنة . . .

البست سخيفا يا عباد الله ؟

حسين محمود